الوسائل المجدية للتصدي للإسلاموفوبيا في المملكة المتحدة

عمر الحمدون*

ملخص: تتناول هذه الدراسة وسائل التصدي للإسلاموفوبيا في المملكة المتحدة، وترى أن تعدّد أسباب الإسلاموفوبيا يجعل وسائل التصدي لها متعددة كذلك. وتتحدث الدراسة عن الوسائل المجدية التي يمكن أن يلجأ إليها المسلمون أفرادًا ومؤسسات للتصدي لهذا النوع من العنصرية، وتقرّر أن الكثير من ممارسات الإسلاموفوبيا تنبع ممن يجهل الإسلام والمسلمين، ويجهل الدور الذي مثّله المسلمون في تاريخ الأمم، ويجهل حاضر المسلمين من الأعمال الخيرية والاجتماعية والعلمية التي قدّمت للمجتمع خدمات مهمّة، ربما لم يقدّمها له غير المسلمين، وترى الدراسة أن الحلول لابدّ أن تشمل تعريف المجتمع بنشاطات المسلمين بأنواعها المختلفة، وقد تكون ثَمّة حاجة إلى أن تنشط المؤسسات الإسلامية الوطنية التي تعمل على مستوى أوروبا في موضوع تسويق جهود المسلمين.

* الرابطة الإسلامية، بريطانيا

Meaningful Means to Counter Islamophobia in the United Kingdom

OMER EL-HAMDOON*

ABSTRACT This article talks about the effective methods that can be carried out by Muslims, as individuals and institutions to deal with this kind of racism. A lot of Islamophobia practices stem out from those who are ignorant of Islam and Muslims and are unaware of the role played by Muslims in history, and in the present with charitable acts, social events; and scientific contributions and other important services that may be provided in the society, which on occasions, may not be practiced by non-Muslims. So, that is why the plausible means must include the introduction to the society of the Muslim community's activities of all kinds, and what is happening in the mosques (where Muslims meet) of activities and events in all transparency.

* Muslim Association, UK.

رؤية تركية
2016 - 4
113 - 99

مقدمة:

تُعَدّ الإسلاموفوبيا من القضايا الخطرة التي تمسّ حياة الأقليات المسلمة في العالم، ولاسيما في الغرب، حيث إنّ ارتفاع الإسلاموفوبيا في الآونة الأخيرة ارتبط بعدة عوامل، منها ما هو متعلّق بأحداث محلية، وأخرى متعلقة بأحداث عالمية، فمتى ما حدث عمل إرهابي في بقعة من بقاع العالم قابله ازدياد في الحوادث المتعلقة بإلاسلاموفوبيا على أرض الواقع.

ففي بريطانيا مثلًا هناك ازدياد في حوادث الإسلاموفوبيا في الآونة الأخيرة، وهذه الزيادة غالبًا ما تتعلق بحوادث محلية أو عالمية، فبعد أحداث باريس في نوفمبر 2015، شهدت بريطانيا زيادة 300 بالمئة من حوادث الهجوم على المسلمين[1].

وليس موضوعنا في هذه الورقة بحث أسباب هذا التزايد وتداعياته، فقد كتب الكثير عن هذا الموضوع، ولكنّنا في صدد الكلام عن إيجاد الوسائل المجدية للتصدي للإسلاموفوبيا. ولكن مع هذا، نرى أن الوقوف على الحلّ ينتج عن معرفة أسباب الإسلاموفوبيا، حيث ستتضح للقارئ وسائل الحلول التي ترتكز على معرفة الإشكالية، وإيجاد سُبل التعامل معها.

معظم من كتبَ في الإسلاموفوبيا يُرجِع أسبابها إلى عاملين أساسيين[2]: أولهما الجهل بالإسلام والمسلمين، وثانيهما الكره الأيديولوجي/ العقدي للإسلَام وما يحمله المسلمون، أو بشكل أوسع الكره للآخَر، ويقتصر العامل الثاني على فئة محصورة من النّاس، وهم في الغالب من طبقات المفكرين والقياديين في المجتمع، ويُعدّ إيجاد حلول للتعامل مع هذه الفئة أصعب من غيره.

أما الفئة الأولى، وهي التي تجهل تعليمات الإسلام، ودور المسلمين الإيجابي فهي الأغلب، وهي الفئة التي يمكن أن يحدث عندها تغيير في تفكيرها وعملها تبعًا لذلك.

يتمحور دور التخويف من الإسلام في رسم صورة مظلمة للمسلمين، من عدة جوانب، منها:

الجانب الأول: تصوير تاريخ المسلمين على أنه تاريخ مظلم لم يقدّم للبشرية شيئًا، ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه الإعلامي (كل روي سلك) الذي قال: "ماذا قدّم (أي العرب) سوى النفط الذي اكتشفه وأنتجه ودفع ثمنه الغرب؟ هل تستطيع ذِكر أيّ شيء؟ أيّ شيء مفيد؟ أيّ شيء له قيمة؟ أيّ شيء نحن بحاجة إليه ولا نستطيع أن نستغني عنه؟ لا، لا أنت تستطيع، ولا أنا أستطيع أن أذكر"[3].

هذا الكلام الذي قاله سلك في جريدة (صندي إكسبرس Sunday Express) هو نموذج للدعاية البغيضة ضدّ لعرب، حاملي الإسلام، لتشويه صورتهم، وتكريس مفهوم أنّ العرب لم يقدّموا شيئًا للإنسانية، ولذا تابع قوله: "ماذا تظنّ أن يكون شعورنا تجاههم؟ هل نُعزّهم لأنهم قتلوا أكثر من 3000 مدني في 11 سبتمبر؟ أو لأنهم رقصوا في الشوارع المغبرّة الحارّة احتفالًا بالقتل؟ هل تظنّ أن نقدّرهم لكونهم انتحاريين، وقاطعي الأيدي، وقامعي

النساء؟"، وقد لقي هذا الكلام عتابًا كثيرًا من المؤسسات الرسمية، ولاسيّما من مؤسسة (بي بي سي BBC) التي يعمل فيها سلك، وهذا يدل على وجود بعض الإنصاف في المجتمع الغربي[4]، ولكن في الوقت نفسه استحسن العديد من الكُتّاب والمفكرين جرأته على شتم العرب وانتقاصهم، بل هناك من دافع عنه تحت راية حرية التعبير.

الجانب الثاني: هو جحد مشاركة المسلمين في المجتمع وجهودهم داخله، ومن ثَمّ تصويرهم بطريقة سلبية، هي أقرب ما تكون إلى سلب إنسانيتهم، وهذه العملية هي التي تعطي الكاره الاعتداد النفسي لمهاجمة المسلمين، حيث لا يعتقد أن المسلم يستحق الاحترام.

إن التصدي للإسلاموفوبيا نابع من عدة محاور وعدة جوانب، بعضها يتعلق بدور الحكومات والمنشآت السياسية، وبعضها يتعلق بدور الإعلام، و بعضها بدور المختصّين والكتّاب والباحثين، وهناك دَور يتعلق بالمجتمع المسلم، والجانب الأخير هو محلّ نقاش هذه الورقة، وبالتحديد في المملكة المتحدة. وهناك مَن كتب في هذا الموضوع لكن بصورة نصائح عملية، مثل ما قام به المجلس لتقوية العلاقات الأمريكية الإسلامية[5].

وسأعرض هنا أهم أفكار التصدي للإسلاموفوبيا التي تُعدّ نشاطًا للمجتمع المسلم، أو الأقلية المسلمة في بريطانيا. وإنّ جهود المسلمين في مكافحة الإسلاموفوبيا كثيرة، ولكنها تفتقد إلى الكثافة والتنظيم، إذ يمكن أن يستعمل المفكرون والمؤسسات وسائل أنجع لجعل هذه الجهود أكثر إثمارًا، كما أن طرح الموضوع في بلد ما، سيساعد البلدان الأخرى على الاستفادة من التجارب المحيطة، فعدد المسلمين الذين يعيشون باعتبارهم أقلية يصل إلى ثلاث مئة مليون نسمة[6]، في بلدان مختلفة، مع تقديرنا أن البلدان تختلف في طبيعتها، وأساليب عملها وتعاملها.

من الأسباب التي تزيد من الإسلاموفوبيا وجود إحصائيات غير مفيدة، تصوّر المسلمين بطريقة مخالفة لواقعهم، وكثيرًا ما تكون غير علمية

ومن الأسباب التي تزيد من الإسلاموفوبيا وجود إحصائيات غير مفيدة، تصوّر المسلمين بطريقة مخالفة لواقعهم، وكثيرًا ما تكون غير علمية، كما يقول (ماثيو جودون[7] Matthew Goodwin)، الذي يطالب بإحصائيات دقيقة، تشمل نطاقًا أوسع للمجتمع البريطاني. هذه الإحصائيات بدورها تعمل على تضخيم المشكلة، وتصوير المسلمين على أنهم أصحاب المشكلة.

ولما كانت المعركة تدور حول تسويق الأفكار والنشاطات، كان حريًّا بالمؤسسات العربية أن تعمل بذكاء أكثر لتحقيق نتائج أفضل.

ويمكن أن يضاف إلى العوامل المؤدية إلى زيادة الإسلاموفوبيا تعامل السياسيين والقياديين في المجتمع، إذ إن للقياديين دورًا في إعطاء النموذج لعموم الشعب في التعامل مع القضايا، وإذا كان السياسي يتعامل مع القضايا المشابهة بطريقة مختلفة ومتمايزة تُشعِر بالتناقض، فإن هذا التناقض يوحي إلى الفرد أن ثمة فرقًا بين أفراد المسلمين وغيرهم.

كما أن السياسة الخارجية لها أثر، فمن لوازم التوسع في التكنولوجيا أنّ العالَم أصبح قرية صغيرة، وهذا له انعكاس على الأرض، فأيّ حادث يحدث في العالم، له قابلية أن يكون له صدى في بقعة أخرى، وقد رأينا أن الأحداث التي تخصّ المسلمين، ولاسيما الأخبار السلبية تُنقَل عبر الإعلام، ويكون لها أثر سلبي في المجتمعات والأقليات المسلمة في الغرب.

الوسائل المجدية

تطوير مناهج التعليم في البلدان

مواجهة الجهل من جذوره يتطلب البدء مع مكونات المجتمع منذ الصّغر، لأنّ الطّفل يتربّى على المعاني منذ البداية، ويستطيعُ التّعليمُ أن يوجّه الطفل نحو الممارسة الصحيحة، ومن هنا يأتي دور المراكز التعليميّة في إيصال النّموذج الصّحيح للإسلام.

استفاد المجلس الإسلاميّ البريطاني (Muslim Council of Britain) من وجود قوانين بريطانية تحثّ على تدريس الأديان الأخرى في المدارس، حيث تشكّل دراسة الأديان جزءًا من المنهج التّعليمي، وتعدّ هذه التدريس مهمّ في إعطاء منهج متكامل للطّفل، ليزيد وعيه عن المحيط الذي حوله. وأنتج المجلس مجموعة من الوسائل الإرشاديّة للمدارس والمعلمين في كيفية تقديم الإسلام، وهذا المشروع اسمه الكتب للمدارس[8] Books for Schools، وهذه الكتب لها دور مهمّ في تكريس المفاهيم الصحيحة للإسلام، وذلك بإرشاد المعلمين -الذين غالبًا ما يكونون غير مسلمين- إلى النقاط والمحاور المهمّة في الدّين، التي قد يغفلون عنها.

وهذا العمل يستفيد من كون المدارس ملزَمة بتدريس الإسلام بصفته أحد الأديان العالمية. هذا التدريس غالبًا ما يكون أول فرصة جادة للطفل للتعرف إلى الإسلام، لذا كانت لها إمكانية أن تشكل القالب لأفكارهم التي يمكن أن يحملوها معهم في حياتهم المستقبلية. هذا المشروع يعمل على مواجهة النظرة السلبية عن الإسلام، وذلك بتأمين مجموعة من الكتب والملفّات عالية الجودة لكل مدرسة في بريطانيا، وهذه الكتب تدعمها تبرعات المحسنين من المسلمين، وتُعطَى للمدرسة هدية.

يقول ممثل المجلس[9]: "عن طريق توفير الفهم الأصيل للإسلام للأطفال، كنا نطمع أن نزرع البذور التي ستزهر التسامح والانسجام". وعند بدء المشروع، لاقى المجلس الإسلامي البريطاني دعمًا معنويًّا من الحكومة البريطانية، متمثلة في وزير التعليم السيد تشارلز كلارك، الذي قال: "فقط من خلال الفهم، تستطيع هذه الدولة التقدّم نحو مجتمع حقيقي، مرتكز على التعدد الديني والثقافي. علينا أن نضمن أن الأطفال يتربَّون على مفاهيم صحيحة عن أصدقائهم وجيرانهم".

طريق مشروعات التثقيف

من الأسباب التي تزيد موجات الكراهية حملات التقليل من دَور المسلمين في الإنتاج والعطاء، فهناك من يبخس جهود المسلمين في الماضي والحاضر، وينكر تقديمهم أيّ نتاج مفيد للمجتمع العالمي.

وقد ظهرت مشروعات على شكل برامج تثقيفية لإظهار دَور علماء المسلمين في الماضي، وهذه المشروعات تهدف إلى إثراء جميع المناهج الدراسية، من خلال تطعيمها بموارد تعليمية عن اختراعات وابتكارات إسلامية لا تزال تؤثر في الحضارة الحالية من خلال الاستفادة من مصادر حديثة موثّقة. ولابدّ من إظهار مشروعات للاحتفاء العام؛ بإنعاش ذاكرة المجتمع عن الجذور الثقافية للعلوم الحالية، وذلك بإقامة مراكز اكتشاف المعارف.

ومن أشهر هذه الجهود المشروع الذي أسّسه البروفسور سليم الحسيني وأسماه (ألف اختراع واختراع[10] 1001 Inventions) . هذا المشروع الذي يحاكي عنوان كتاب القصص المعروف (ألف ليلة وليلة)- يهدف إلى توعية النّاس بجهود المسلمين في الكثير من الاختراعات التي أثْرت عالم اليوم.

انطلق مشروع (ألف اختراع واختراع) من بريطانيا سنة 2006، ويعدّ من أهم المشروعات التي أنشأتها (مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة)[11] التي تحاول من خلال العمل مع كبار الأكاديميين على مستوى العالم الوصول إلى الجمهور بواسطة الإعلام التعليمي، والوسائل الإلكترونية؛ للتركيز على التراث العلمي والتكنولوجي المشترك للبشرية، من أجل الإسهام في تقوية التماسك الاجتماعي، وتدعيم الاحترام والتقارب بين الثقافات.

ويُعدّ مشروع (ألف اختراع واختراع) مبادرة تعليمية عالمية تعمل على التعريف بألف عام من الإنجاز العلمي والتكنولوجي والثقافي للحضارة الإسلامية منذ القرن السابع الميلادي، وتبيّن كيف أسهمت هذه الإنجازات في نشأة الحضارة المعاصرة. وأهم جزء من هذه المبادرة هو المعرض العالمي الجوّال.

يقول البروفسور سليم الحسني: "منذ انطلاقه، كان لمشروع (ألف اختراع واختراع) أبعاد إستراتيجية تؤثر بشكل مباشر في الأجيال الناشئة، وكذلك في التصورات والعلاقات المستقبلية بين المسلمين وغير المسلمين في العالم. وقد أثبت المشروع فاعليته في تطوير هوية الشباب، ووسائل غرس الثقة في النفس، وتحفيزهم على الاهتمام بالعلم والتكنولوجيا والبحث والإبداع، والإسهام الإيجابي في بناء المجتمع".

يكشف المعرض عن معالم ألف سنة من الإبداع العلمي والتكنولوجي التي لا نجد لها أثرًا يُذكَر في مناهج التعليم في المدارس الغربية والجامعات، ولا تذكرها وسائل الإعلام إلا لمامًا، وبذلك تغيب عن أذهان النّاس، ويزداد الأمر خطورة عندما يتجاهل ذلك أصحاب القرار في القيادات السّياسيّة والاقتصاديّة في أوروبا وأمريكا. يُطلَق على هذه الألفيّة المغيّبة عبارة (العصور المظلمة)، وتُسمَّى في بعض الأحيان (العصور الوسطى)، وهي الفترة الممتدة بين أواخر الإمبراطورية الرومانية وعصر النهضة في أوروبا. ومن السهل إبراز خطأ هذه التسميّة وخطورتها؛ لأن المسار التاريخي للعلوم والمعرفة والخط العام للحضارة الإنسانيّة لا ينقطع؛ كما أنّ العصور التي تُلقّب بالمظلمة تتوافق مع العصر الذهبي للحضارة الإسلاميّة.

وانطلاقًا من هذه الخلفية التاريخيّة، انبثق مشروع (ألف اختراع واختراع) للسعي إلى تطوير فهم أفضل، وتفاهم أحسن بين المجتمعات والشعوب والثقافات. وقد بلغ المشروع مبلغًا من النجاح الباهر الذي يثلج الصدور، وحظي بمديح وسائل الإعلام الشعبية والمتخصّصة، والجمهور، والمجتمع التعليمي والتربوي، والأوساط الأكاديمية، وأثبتت استطلاعات الرأي العام العديدة التي أُجريت حول تأثير هذا المشروع أنّ أثره كان إيجابيًّا في الجمهور؛ إذ أعاد الآلاف مراجعة مفهومهم لما يُسمَّى (العصور المظلمة)، ودَور الحضارة الإسلامية في إرساء أسس العلوم والتكنولوجيا الحديثة.

وهناك جهود أخرى، تبذلها جهات أخرى، مثل ما تقوم به الرابطة الإسلامية في بريطانيا سنويًّا عن طريق المسابقة الرمضانية، التي تجعل بعض أسئلتها يتعلق بإسهامات المسلمين في تاريخ الإنسانية. وتستهدف الرابطة من خلال هذه المسابقة التي تُرَوَّج بين أوساط المسلمين- زيادة ثقة المسلمين بماضيهم، وخصوصًا ما قام به العلماء المسلمون في ميادين تطوير العلم واستخلاص الفوائد، وهذا مثال على تلك الأسئلة: "من العالم الذي اخترع الخيط المستخلَص من أمعاء القطط لاستخدامه في الجراحة؟"

هذه الثقة تدفع المسلم إلى أن يكون إيجابيًّا في مجتمعه، وهذه الإيجابية تؤثر إيجابيًّا في المجتمع، ونظرته إلى المسلم، كما أنّ إظهار إسهامات علماء المسلمين في العالم له تأثير مهمّ، ولاسيّما في تلاميذ المدارس، حيث يستطيعون أن يربطوا الإنجازات مع واقع حياتهم.

الدور الإيجابي للمسلمين في المجتمع الغربي

من الدعايات التي تُروَّج ضد المسلمين أنه ليس لهم إسهام حقيقي في المجتمع، ومن ثَمّ فهم عبء على المجتمع، ولا يخفى ما تقدّمه هذا المغالطة من أذى للمسلمين من حيث بخس جهودهم في المجتمع.

وقد بذلت عدة مؤسسات تهتمّ بالعمل المدني للمسلمين جهودًا لإبراز دورهم وإسهاماتهم في المجتمع، من بينها الرابطة الإسلامية في بريطانيا التي نشرت مقالا[12] يتحدث عن إنجازات المسلمين البريطانيين على نطاقات واسعة، تشمل المجال السياسي والإعلامي والخيري والمدارس والعمل الاقتصادي وغيرها، ويؤكّد المقال أن المسلمين جزء مهمّ من المجتمع البريطاني منذ القرن التاسع عشر، وكانوا ولايزالون يقدّمون الخدمات ويشاركون في المجتمع، ويشير المقال إلى الشخصيات المسلمة البارزة في تلك المجالات، وهذا كلّه يسهم في ترويج المفهوم الصحيح لمشاركة المسلمين... وهناك مؤسسات أخرى أيضًا اعتنت بهذا الجانب[13].[14]

كما تقيم بعض المؤسسات في بريطانيا احتفالات بإنجازات المسلمين في بريطانيا، من بينها جريدة (أخبار المسلم Muslim News)، التي تقيم حفلًا سنويًّا لهذا الأمر[15]، ويكون فيه تكريم للذين يقدّمون مشاركات للمجتمع.

وفي عام 2013، أصدر المجلس الإسلامي البريطاني منشورًا بناء على بحث أجراه بعنوان: (الجنيه الإسلامي The Muslim Pound)، ووُزِّع على نطاق واسع[16]، وهو يتحدث عن إسهامات المسلمين ومشاركاتهم كرجال الأعمال وأصحاب الشركات والمؤسسات الربحية في إثراء الاقتصاد البريطاني.

ومن جهود المجلس نجاحه في عقد المؤتمر العالمي للاقتصاد الإسلامي في لندن، فكانت عاصمة بريطانيا أول مدينة خارج العالم الإسلامي تستضيف هذا المؤتمر المعروف بـ(الملتقى العالمي للاقتصاد الإسلامي)، وهو من المؤتمرات الكبيرة في العالم، يجمع كبار الاقتصاديين وكبار رجال الأعمال والشركات للحديث عن البرامج الاقتصادية في العالم.

ومثل هذه الأعمال نوع من الدعاية الصحيحة للإسلام، حيث إن السياسيين أثنوا على جهود المسلمين في استحضار هذا الملتقى والمعرض إلى بريطانيا، ومنهم الأمير تشارلز[17].

المشاركة الفعالة في المجتمع على النحو الآتي:

أولًا: الأعمال الخيرية

ويكون ذلك من خلال تفعيل دور الأعمال الخيرية التي تمسّ المجتمع، عن طريق زيادة الوعي بما تقوم به الجاليات والمؤسسات الإسلامية، وتعزيز دورها في المجتمع. إنّ كثيرًا من المساجد والمؤسسات الإسلامية التي تشمل المؤسسات الخيرية أيضًا تؤدّي أعمالًا لها صدى قوي في المجتمع البريطاني، تشمل أعمالًا خيريّة وإغاثيّة لمساعدة المحتاجين والمتضررين من الكوارث الطبيعية.

وفي عام ٢٠١٥ تعرضت بريطانيا إلى موجات من الأمطار الشديدة التي أدّت إلى فيضانات كبيرة في مناطق واسعة في شمالها، تسبّبت في مضايقات كبيرة لسكان الشمال الغربي، حتى فقد الكثير منهم مساكنهم التي امتلأت بمياه الفيضانات؛ فانطلق بعض المؤسسات الخيرية وغيرها من المؤسسات الاجتماعية إلى تلك المناطق لمساعدة المنكوبين، وظهرت الواجهة الإسلامية في هذه المساعدات التي دفعت الكثير من سكان المناطق إلى الثناء على مساعدة المسلمين، في الوقت الذي تخلت عنهم المؤسسات الرسمية.

وقد لاقت هذه المساعدات التي قدّمها المسلمون وهيئاتهم تفاعلًا كبيرًا من المجتمع، الذي قدّر دَور المسلمين في مشاركة الآخرين همومهم ومشكلاتهم، ولهذا الأمر دور عظيم في مكافحة التصور الخاطئ في أذهان الآخرين.

كما أقام اتحاد الجمعيات الإسلامية الطلابية في المملكة المتحدة وإيرلندا (FOSIS) بالتعاون مع قسم الشباب في الرابطة الإسلامية في بريطانيا نشاطًا لمدة شهر تحت مسمى)آمِنْ واعملْ صالحًا[18] Believe and Do Good)؛ شارك فيه أكثر من ٦٠ جمعية في بريطانيا، وقد دعا هذا النشاط طلاب الجامعات إلى العمل الخيري في المجتمع، مركّزًا على الآية الكريمة الآتية: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ...}البقرة25، وغيرها من الآيات التي تجمع بين الإيمان والعمل الصّالح، وذلك عن طريق إقامة برامج اجتماعية خيرية لجميع أفراد المجتمع من المسلمين وغيرهم. وشملت أعمال هذا النشاط أيضًا: مساعدة المشردين في الشّوارع، ومساعدة وزيارة كبار السّن، وتنظيف المنطقة، والتبرع بالدم،وغيرذلك.

من الدعايات التي تُروّج ضد المسلمين أنه ليس لهم إسهام حقيقي في المجتمع، ومن ثَمّ فهم عبء على المجتمع، ولا يخفى ما تقدّمه هذا المغالطة من أذى للمسلمين من حيث بخس جهودهم في المجتمع

وهذا النشاط كان له من أثر إيجابي في المجتمع، حيث مارس الطّلاب أعمالًا خيريّة تدل على حبهم للخير، وأسهم في تغيير الصورة السلبية السائدة عن الطالب الجامعي في بريطانيا، إذ يُصوّر على أنه مضياع للوقت، لا يهتمّ إلا باللهو واللعب؛ إضافة إلى الصورة السلبية عن المسلمين، فكان هذا النشاط أداة من أدوات التصدي لهذه الإشاعات السلبية عن الطلاب، وتغيير نظرة المجتمع تجاههم، وقد لاقى هذا النشاط ترحابًا واسعًا من المواطنين.

ثانيًا: إطعام الطعام

ويتمثل ذلك في الجهد المنتشر الذي يبذله المسلمون في هذا المجال؛ للاهتمام بتوفير الطعام للمشرّدين الذين لا يتمتعون بسكن، ويعيشون في شوارع بريطانيا، وهذه الجهود موزّعةفيمدنعدة.

ثالثًا: فتح المساجد أبوابها للناس

الجهل والخوف مصدران للإسلاموفوبيا، وكلا الأمرين يمكن أن يكافحه المسلمون من خلال أنشطتهم، ومن خلال التعامل بشفافية. أدرك المسلمون منذ أكثر من عشرين سنة أهمية فتح مساجدهم لعامة النّاس في بريطانيا في يوم مفتوح، يستطيع فيه أيّ شخص أن يزور المسجد، وينظر إلى ما هو فيه، ويتعرف إلى أنشطته وأنشطة النّاس القائمين عليه من أئمة ومديرين ومتطوعين. وهذا البرنامج له فوائد عديدة، وقد ظهر في السّنتين الماضيتين جهد وطني مشترك بين المساجد لإقامة هذه البرامج في يوم واحد، تحت مسمّى: (زر مسجدي Visit My Mosque)، حيث يكون لهبهذهالصورةتأثيرأكبر[19].

كما يسهم العديد من المساجد في إقامة برامج فتح الأبواب خلال السّنة، تتضمن دعوة الناس في المنطقة المحليّة إلى زيارة المسجد، وتناول الطعام والمرطبات مع المسلمين، وإلى مشاهدة ما يحدث داخل البناء من نشاطات تعبدية وغيرها. وفي العادة تتضمن الزيارة رحلة تعريفية داخل المسجد، وبرامج للأطفال، وطرح أسئلة على الإمام أو على مسلم مثقف.

ووفود الزائرين تشمل جيران المسجد، وقياديين في المنطقة من الكنائس والمعابد ومؤسسات دينية أخرى، ومدرسين وتلاميذ، وطلابًا جامعيين، وأصحاب المحلات، ومسؤولي البلدية، وسياسيين محليين، وعابري السبيل الذين يدخلون ويشاهدن البرنامج.

ومن أهم أهداف هذه البرامج إبراز جهد المساجد في بريطانيا، وجذب انتباه الإعلام الوطني لتغطيته، وفي ذلك زيادة في فرص التعريف بالنشاطات الحسنة التي تُنفَّذ في المجتمع، وتحفيز للناس لزيارة المسجد، ومن ثَمّ التقليل من الجهل المؤدّي إلى العداء والكره[20].

وثمة فائدة أخرى لتغطية الإعلام الوطني الموسّع لهذه البرامج، إذ يشاهد المواطنون الذين لم يتمكنوا من حضور اليوم المفتوح برامج المسجد ونشاطاته، فيدركون أن المسلمين يمدّون أيديهم إلى الجيران، فتتشكل لديهم صورة إيجابية عن الإسلام والمسلمين، ويسهم هذا في تقوية العلاقات في المجتمع.

الجهل والخوف مصدران للإسلاموفوبيا، وكلا الأمرين يمكن أن يكافحه المسلمون من خلال أنشطتهم، ومن خلال التعامل بشفافية

برنامج (زُر مسجدي) لاقى ترحابًا طيبًا من المؤسسات المدنية، والإعلام البريطاني، وكان الجهد مركّزًا على فتح أبواب المساجد للجميع.

يقول المنسق العام للمشروع السيد حسن جودي: "على المستوى المحلي، هذه الأيام المفتوحة تجمع المجتمعات المحلية لكي يفهم بعضها الآخر، وتعطي فرصة للزائرين لطرح أسئلتهم، كما تعطي فرصة للقائمين على البرنامج بإزالة الإشاعات والخرافات عن الإسلام والمسلمين. والنتيجة الحاصلة هي تطوير الاندماج المجتمعي، والتقليل من الإسلاموفوبيا".

ومن بين المؤسسات التي شاركت في هذه الحملة: مسجد (فنزبري بارك Finsbury Park)، وهذا المسجد له تاريخ مُشوّه نتيجة وجود المدعو أبي حمزة، الذي أسهم في تشويه صورة المسجد وسمعته لارتباطه بالإرهاب، ولذلك جذب أنظار الحكومة والبلدية والشرطة والإعلام.

واستطاع المسجد بعمله المفتوح وتواصله مع الجيران وفتح الأبواب محو الصورة والسمعة المشوّهتين عن المسجد، حتى إن الجيران أصبحوا أكثر ايجابية وتفهّمًا للمسجد، وبدا هذا واضحًا عندما واجه المسجد اعتداء في مايو 2016، حاول فيه شخص رمي عبوة من البنزين على المسجد لإحراقه، ففي الأيام التي تلت هذا الاعتداء تجمّع أكثر من خمسمائة شخص من بين سياسيين وممثلي البلدية وممثلي الأديان الأخرى والجيران للمشاركة في وقفة تضامنية مع المسجد[21].

إن برنامج فتح المسجد أبوابه يقام منذ ما يزيد على عشر سنوات، ويحظى البرنامج باهتمام من غير المسلمين، ولاسيّما المدارس التي تزور المسجد وتتعرف إلى الإسلام والمسلمين.

ومن أعمال المسجد كذلك، نشاط إطعام المحتاجين والمشرّدين، ويشهد هذا البرنامج مشاركة 30 20 – شخصًا يحضرون إلى المسجد كل أسبوع لتناول وجبة ساخنة.

يقول مدير المسجد السيد محمد كزبر: "استطعنا أن ننقل المسجد إلى المجتمع، وذلك بالانفتاح على الناس، وفتح أبوابنا، ومشاركة هموم المجتمع البريطاني. وقد وجدنا لذلك أثرًا كبيرًا في المجتمع، فعندما يتعرض المسجد لأي حملة كره نجد مَن حولينا يقدّم لنا المساندة المعنوية والتبرعات المالية، إضافة إلى باقات من الورود لشدّ همتنا، وليقولوا ها نحن معكم في مواجهة الكره والعداء".

ومن الأمثلة الحية على تلطيف الأجواء بفتح أبواب المساجد ما حدث في مدينة (يورك York)، إذ نظّم مجموعة من اليمين المتطرف مظاهرة ضد الإسلام والمسلمين، وانتهت المظاهرة بالوقوف أمام المسجد، فكان ردّة فعل أصحاب المسجد والمصلّين أن فتحوا أبواب المسجد لهم، ودعوهم لتناول الشاي! وكان لهذا التصرف الحسن أثر إيجابي أزال حدّة المتظاهرين، الذين كانوا يستهدفون مضايقة المسلمين[22].

رابعًا: مشاركة الآخرين في المجتمع

هناك أنشطة متعددة تشارك فيها الأقلية المسلمة في بريطانيا مع الآخرين. وهذه المشاركة تعطي شعورًا بالمسؤولية والاهتمام بقضايا الآخرين، وتؤدّي إلى التقارب، أو على الأقل تقلّل من حدّة الكراهية.

للحملات المشتركة فوائد كبرى، فهي تجعل ذوي الطبائع والأفكار المشابهة أن يعملوا تحت لواء مشترك، والعمل المشترك يولّد نوعًا من التقارب يشعر فيه كل فرد من المجموعة باحتياجه إلى الآخر.

وإذا بحثنا في القضايا المتعددة في المجتمع، سنجد أنّ جلّ القضايا أو كلها يمكن أن يشترك بها المسلم مع غيره. فمثلًا مع اليهود يشترك المسلمون فيما يُسمّى بالذبح

الديني، إذ إن هناك حراكًا في المجتمع لمنع الذبح الديني بحُجّة أنه يؤذي الحيوان، وكما أن المسلمين بحاجة إلى اللحم الحلال، فإن اليهود أكثر تمسكًا باللحم الكوشر. ويشترك المسلمون مع اليهود أيضًا في مسألة الختان. وقد تعرّض أمر الختان حديثًا في ألمانيا إلى حراك يستهدف منعه تحت شعار حرية الطفل[23]. وتُعدّ مجالس الحكم الديني أيضًا من القضايا التي يشترك فيها أهل الديانتين.

أما مع النصارى، فهناك جهود تتعلق بقضايا تخصّ الحفاظ على النفس، ومن أشهر الأعمال ما قام به الدكتور عبد المجيد قطمة في (جمعية الحفاظ على الجنين society for the protection of the unborn)، وهي جمعية قديمة أُسِّست لمعارضة القانون الذي سُنّ للسماح بالإجهاض من غير سبب، ثم غدت هذه الجمعية من كبرى الجمعيات... وكذلك الجمعية التي تنشط في مجال الحفاظ على الحياة، ومنع ما يُسمّى بقتل الرحمة.

أما مع السيخ فظهر تعاون سطحي تمثّل في المحافظة على حقوق اللباس الديني، إذ يمسّ هذا الأمر السيخ للبسهم العمامة، كما يمسّ المسلمات اللواتي يرتدين الحجاب.

ومع أحزاب اليسار تعاون المسلمون في قضايا الوقوف ضد الحرب، ولاسيّما الحرب التي شنتها الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ضد العراق في عام ٢٠٠٣، وكانت الريادة في ذلك للرابطة الإسلامية في بريطانيا، حيث تضامنت مع التحالف ضد الحرب، ونظّمت مجموعة من المظاهرات والاعتصامات ضد الحرب. وقد أثمر هذا التحالف تعاونًا سياسيًّا مهمًّا لا يزال لآثاره صدى في العمل السياسي في بريطانيا.

إن وجود هذه الحملات، ومشاركة المسلمين فيها أنتجا تعاونًا وائتلافًا بين المسلمين والمجتمع؛ وهذا قلّل من حدّة الكراهية وانتشار الإسلاموفوبيا، إذ يستشعر المواطن البريطاني أن لهذه المجموعة اهتمامات هي اهتماماته نفسها، وبذلك يتولّد لديه فكر مفاده أن المسلم ليس انعزاليًّا، ولا يفكر أو يعمل لمصلحة بلدان أخرى.

أما مع أحزاب الخضر، فظهرت فرص للتعاون في الحفاظ على البيئة[24].

خامسًا: إبراز الشخصيات المسلمة التي أدّت دورًا في المجتمع

نؤكّد هنا ما أسلفنا من أنّ نار العداء تُؤجَّج بناء على انتقاص دور المسلمين في المجتمع، وقد استطاعت مجموعة كبيرة من المسلمين في بريطانيا تحقيق إنجازات في المجتمع؛ لإظهار مشاركة المسلمين في مجالات المجتمع المتعددة. وهذه المشاركات إذا كانت إيجابية ومثمرة فسوف يكون لها صدى طيب في المجتمع، يستطيع أن يربط المسلمين بإنجازات حقيقية، بدل من أن يرتبطوا أو يُتّهموا بأعمال إجرامية أو إرهابية.

ومن بين النماذج الإيجابية في بريطانيا انتخاب صادق خان عمدة للندن في 2016، وهو مسلم من أصول باكستانية، ورغم الحملة الشرسة ضده من قبل خصمه (زاك غولدسميث

Zak Goldsmith) من حزب المحافظين، إلا أنه استطاع أن يفوز بأصوات عالية في الانتخابات، التي مثّلت بدورها حضورًا للمسلم في المشاركة السياسية.

وقبله ترأست حزبَ المحافظين السيدة (وارسي Baroness Warsi)، وكانت أوّل امرأة مسلمة تشارك في الحكومة، لكنها تختلف عن صادق خان، كون وظيفتها في الحكومة لم يكن من خيار الشعب.

كما أنّ الشعب البريطاني انتخب في الانتخابات البرلمانية الأخيرة في بريطانيا سنة 2015 ثلاثة عشر نائبًا مسلمًا من أصل 650 نائبًا في البرلمان البريطاني، وكان عددهم ستة نواب في عام 2010، ولاتزال هذه النسبة من المسلمين في البرلمان تُعَدّ قليلة مقارنة بعدد المسلمين في بريطانيا، إذ تشكّل نسبة النواب المسلمين 2٪ مقابل 5٪ من نسبة المسلمين في المجتمع البريطاني.

ونجد كذلك في الآونة الأخيرة بروز شخصيات مسلمة تكرّس مفهوم المشاركة الإسلامية في المجتمع، فعلى صعيد الإعلام، برز أمثال مشعل حسين، وراجي عمر، وكمال أحمد، وفيصل إسلام، وكلهم شخصيات بارزة في الإعلامي المحلي والعالمي.

وعلى صعيد الرياضة، فاز بجائزة (لاعب سنة 2016) الشابّ المسلم رياض مهرز[25] الذي يلعب لمصلحة الفريق البريطاني (لستر سيتي Leiceter City)، وفاز الرياضي محمد فارح بميداليات ذهبية في ألعاب الأولوبيك سنة 2012، وهناك شخصيات رياضية مسلمة أخرى، أمثال خديجة سفاري، ومعين علي، وأمير خان... وغيرهم.

ومن الأمثلة الجديرة بالذكر، فوز السيدة نادية حسين[26]، بمسابقة بريطانية وطنية في الطبخ، في برنامج تابعه الملايين من البريطانيين وغيرهم، إذ استطاعت نادية أن تفوز في هذه المسابقة، وهي ترتدي حجابها. وهذا الفوز في مسابقة عامة ليست ذات علاقة بدين أو غيره- أوصلت رسالة مهمّة إلى الناس بمشاركة المسلمين في المجتمع، ومن الجوائز التي حازتها نادية مكافأة على هذا الفوز، أنها أعدت كعكة للملكة المملكة المتحدة إليزابيث الثانية في يوم ميلادها احتفالًا بعقدها التاسع.

الخلاصة:

الإسلاموفوبيا من أنواع العنصرية البشعة التي تواجه الأقليات المسلمة في العالم، وكما أن لها أسبابًا عدة، فكذلك لها وسائل وحلول عدة، حيث إن المسلمين يملكون وسائل متعددة في الأطر والمؤسسات التي يوجدون فيها، فجزء من العلاج يكمن في جعبة المسلمين، وهذا يتطلب أداء المسلمين أعمالًا إيجابية متزايدة، والقيام بنشاطات وفعاليات منفتحة على المجتمعات التي هم فيها... وبشيء من التخطيط، وتكثيف الجهود، وتوفير خطاب ناتج من صميم العمل قبل أن ينطق به اللسان- يستطيع المسلمون أفرادًا ومؤسسات أن يسهموا في تخفيف حدّة الكراهية نحو الإسلام والمسلمين.

الهوامش والمصادر :

1. Wright, O. (2015). "Attacks on British Muslims have gone up 300% since Paris." from http://indy100.independent. 2016/7/indy100.independent.co.uk, Retrieved 15 co.uk/article/attacks-on-british-muslims-have-gone-up-300-since-paris--ZyMe0b1MhFx
2. /http://www.allaboutcounseling.com/library/islamophobia
3. https://www.theguardian.com/media/2004/jan/08/pressandpublishing.raceintheuk
4. BBC News: "Kilroy 'regrets' anti-Arab comments" http://news.bbc.co.uk/ retrieved from http://news.bbc.co.uk/1/hi/uk/3384573.stm 2016/7/14
5. http://www.islamophobia.org/anti-prejudice-tools.html
6. /mapping-the-global-muslim-population/07/10/http://www.pewforum.org/2009
7. Goodwin, M. (2013) "To tackle Islamophobia in Britain, we need to fight clever". from http://www.theguardian.com/ ,2016/7/Theguardian.com, retrieved 15 commentisfree/2013/sep/26/tackling-islamophobia-play-clever-game
8. from http://news.bbc. 2016/7/BBC News (2004). News/bbc.co.uk / Retrieved 15 co.uk/1/hi/education/3736428.stm
9. /from http://www.mcb.org.uk/books-4-schools 2016/7/Accessed 15
10. /from http://www.1001inventions.com 2016/7/Accessed 15
11. /from http://fstc.org.uk 2016/7/Accessed 15
12. from https://www.mabonline.net/about-islam/british-muslims- 2016/7/Accessed 15 /contributions
13. /from http://www.mcb.org.uk/british-muslims 2016/7/Accessed 15
14. from http://www.therevival.co.uk/muslim-contribution-to- 2016/7/Accessed 15 britain
15. Adil, A. (2015). "Muslims make stellar contributions to British society". from http://muslimnews.co.uk/ 2016/7/Themuslimnews.co.uk / Retreived 15 /newspaper/top-stories/muslims-make-stellar-contributions-british-society
16. /from http://www.mcb.org.uk/muslimpound 2016/7/Accessed 15
17. from http://www.princeofwales.gov.uk/media/speeches/ 2016/7/Accessed 15 speech-the-prince-of-wales-the-world-islamic-economic-forum-london
18. /from http://www.believeanddogood.com 2016/7/Accessed 15
19. from http://www.mcb.org.uk/wp-content/ 2016/7/MCB, Accessed 15 VisitMyMosque2016_SummaryReport-FINAL.pdf/04/uploads/2016
20. Safdar, A. (2016) "'Visit my mosque' day in UK bids to tackle Islamophobia." /01/from http://www.aljazeera.com/news/2016 2016/7/Aljazeera.com / retrieved 15 mosque-day-uk-bids-tackle-islamophobia-160130172406868.html
21. http://www.dailymail.co.uk/news/article-3346743/Corbyn-speaks-anti-Islamaphobia-protest-outside-Finsbury-Park-mosque-spike-hate-crimes-wake-Paris-attacks.html
22. Czernik, A. (2013) "York mosque counters EDL protest with tea, biscuits and from https://www.theguardian. ,2016/7/football" Theguardian.com, retrieved 15 com/uk/2013/may/27/york-mosque-protest-tea-biscuits

23. Gold, T. (2013) "A ban on male circumcision would be antisemitic. How could it not be?" Theguardian.com, retrieved 15 2016/7/, from https://www.theguardian.com/commentisfree/2013/oct/11/ban-male-circumcision-antisemitic.

24. Accessed 15 2016/5/, from http://www.greenmuslims.org/

25. Augustus, L. (2016) "Riyad Mahrez wins PFA Player of the Year 2016 award following stunning campaign with Premier League leaders Leicester City". Mailonline. Retrieved 15 2016/7/, from http://www.dailymail.co.uk/sport/football/article-3556666/Riyad-Mahrez-wins-PFA-Player-Year-2016-award-following-stunning-campaign-Premier-League-leaders-Leicester-City.html

26. Aly, R. (2015). "Nadiya Hussain has won so much more than the Great British Bake Off". Theguardian.com. retrieved 15 2016/7/, from https://www.theguardian.com/commentisfree/2015/oct/08/nadiya-hussain-has-won-so-much-more-than-the-great-british-bake-off